

وزوار الأعياد الدينية . فيحملون الماء على ظهورهم في أبريق من الفخار أو من جلد اللعتر . والقليل منهم يسلكون حياة التجول ويعيشون على الصدقات بلجاجة ووقاحة شديتين . وبعض هؤلاء يميزون أنفسهم على طريقة الأولياء المشهورين بلبس ( اللق ) أى السترة المرقمة ، وحمل العصا للعلق في أعلاها قطع النسيج المختلفة الألوان ، ولبس البعض الآخر ملابس غريبة مختلفة الألوان

ويتخذ بعض الرقاعية ممن لا يجترئون إخراج الثعابين من المنازل ، حياة التجول في بلاد القطر مستفيدين من خرافة مضحكة أذكرها الآن : كان سى<sup>(١)</sup> دارد المزب وهو ولى مجبل من بلدة قاهنه<sup>(٢)</sup> في الوجه البحرى يملك عجلاً يقوم على خدمته . فتعود بعض الرقاعية منذ وفاته تربية العجول في بلدة هذا الولى أو مدفنه وتعمريها على صعود السلم والاضطجاع عند ما تؤمر بذلك ، ثم يذهب كل منهم وعجله متجولاً في البلاد لجمع الصدقات . ويسمى العجل ( عجل المزب ) . وقد دعوت مرة أحد هؤلاء الدراويش إلى منزلى . وكان العجل — وهو الوحيد الذى رأيت — جاموساً يتدلى منه جرسان ، أحدهما فى طوق حول عنقه ، والآخر فى حزام حول جسمه . وقد صدق السلم جيداً ، إلا أنه أظهر ضعف مرانه من كل الوجوه . ويستفد العامة أن عجل المزب يجلب إلى المنزل بركة الولى الذى سمى هذا الحيوان باسمه

وفى مصر دراويش جواله من الترك والفرس ، وإلى هؤلاء الدراويش تنسب صفة اللجاجة والوقاحة أكثر مما تنسب إلى القلائل من المصريين الذين يعيشون معيشتهم . ويحدث كثيراً فى شهر رمضان خاصة أن يذهب دراويش أجنبي إلى مسجد الحسين الذى يتردد إليه كثير من الترك والفرس ، وقت صلاة الجمعة فيمر بين الصلبيين عندما يخطب الخطيب ويضع أمام كل امرئ قصاصة من الورق كتب عليها بعض كلمات تحت على الصدقة . وبهذه الطريقة يتناول من الصلبيين كلهم أو غالبهم قطعاً من ذوات الخمسة فضة أو المشرة فضة أو أكثر . ويحمل الكثير من دراويش الفرس فى مصر صلعة خشبية وطاسة مستطيلة من جوز الهند أو من الخشب أو المعدن حيث يتناولون الصدقات ويضمون الطعام . ولبس أغلب الدراويش

(١) سى « اختصار عامى لكلمة سيدى المختصرة من سيدى

(٢) لعلها بلدة « تفهنا المزب » بمركز زفتى مديرية الغربية ( المترجم )

## ٣٤ - المصريون المحدثون

### شمائلهم وعاداتهم

فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزى اورد وليم ليه

للاستاذ عدلى طاهر نور

#### تابع الفصل الحادى عشر - « المرافات »

هناك شمائر درويشية كأشكال اللعاء ، وطرق الذكر لا يراعيها غير طوائف خاصة ، كما توجد شمائر أخرى تقوم بها الطوائف المختلفة . ونذكر من هذه طقوس ( الخلووية ) و ( الشاذلية ) وهما فرقتان كبيرتان لكل منهما شيخ . والفارق الرئيسى بينهما أن لكل منهما أسلوبه الخاص فى الأدعية التى يرددونها صباح كل يوم ، وأن السابقين يميزون عن الآخرين بالخلوة أحياناً ، ومن ثم سموا خلوتية . وهؤلاء يتلون دعاءهم قبل الفجر ويسمى ( ورد السحر ) أما دعاء الشاذلية فيقرأونه بعد الفجر ويسمى ( حزب الشاذلى ) . وقد يتكف الخلووى أربعين يوماً و ليلة فى خلوته صائماً ، من بزوغ الفجر إلى غروب الشمس طول هذه اليلة . ويتكف جماعة منهم أحياناً فى خلوات مسجد الشيخ الدروداش شمال القاهرة ثلاثة أيام وليال بمناسبة مولد هذا الولى ، ولا يتناولون أثناء ذلك غير قليل من الأرز وكوبية من الشراب عند المساء . ويشغلون أنفسهم بقراءة أدعية لا يعرفها غيرهم ؛ ولا يخرجون من الخلوة إلا للصلاة جماعة فى المسجد ، ولا يجيبون أبداً من يكلمهم إلا بقولهم : « لا إله إلا الله » . ويتبع هذا النظام تقريباً أولئك الذين يتكفون مدة الأربعين يوماً فيقضون الوقت مردين الشهادة سائلين الموحدين الله .

يكاد دراويش مصر جميعهم أن يكونوا تجاراً أو صناعاً أو مزارعين . وهم لا يحضرون طقوس بعضهم إلا مصادفة ؛ غير أن بعضهم لا عمل له غير الذكر فى الموالد والحفلات الخاصة والإنشاد فى الجنائز . ويطلق على هؤلاء لفظ ( فقير ) ؛ ومعنى ذلك الموز عامة ، إلا أنه يطلق على الأتقياء الساكنين خاصة . ويمتاش البعض من تقديم الماء إلى المارة فى شوارع القاهرة

العظيم « : ( سورة البقرة آية ٢٥٥ ) ؛ « الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين » : ( سورة يوسف آية ٦٤ ) ؛ « يحفظونه من أمر الله » : ( سورة الرعد آية ١١ ) ؛ « وحفظناها من كل شيطان رجيم » : ( سورة الحجر آية ١٧ ) ؛ « وحفظاً من كل شيطان مارد » : ( سورة الصافات آية ٧ ) ؛ « وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » : ( سورة يس ) ؛ « والله من ورثهم يحيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » : ( سورة البروج الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ) . وكثيراً ما تكتب أسماء الله التسعة والتسعون ، في ورقة يحملها الشخص ، فتجمله كما يعتقد محلاً خاصاً لرعاية هذه الصفات الكريمة جميعها . ويعتقد كذلك أن كتابة أسماء الرسول التسعة والتسعين على أي شيء تكون حجاباً كما درى الإمام علي عن النبي ( ص ) يمد كل مصيبة ووباء ويحفظ من الضعف والحسد والسحر والحريق والدمار والقلق والحزن والضييق . ويضيف المسلم بعد ذكر كل من هذه الأسماء قوله : — اللهم صل وسلم عليه<sup>(١)</sup> . وتنسب مثل هذه الخصائص إلى حجاب يتضمن أسماء أصحاب الكهف واسم كلهم<sup>(٢)</sup> . وتنقش هذه الأسماء أحياناً في قاع طاسات الشراب ، وغالباً على صينية الطعام المستديرة من النحاس المبيض . وهناك حجاب آخر يظن أن له تأثيراً مماثلاً . ويتألف هذا الحجاب من أسماء مخلقات النبي وهي تتألف من سبعين ومصحف في أجزاء غير مرتبة ، ومكحلة وسجادتين ورحا وعصا وسواك وحلة<sup>(٣)</sup> والأبريق الذي كان يستعمله النبي صلعم للتوضوء ،

(١) كتب إلى أحد الأصدقاء ، وكان أستاذي ، قيل أن أترك منزلي بالقاهرة للمودة إلى إنجلترا ، على قصاصة ورق : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم قطعها نصفين وأعطاني النصف للكتاب عليه : محمد رسول الله ، ثم أخني النصف الآخر في أعلى دولاب صغير في غرفة الجلوس المتأدة ؛ وذلك لضمان عودتي إلى القاهرة ثانية ، إذ يعتقد أن الصلعة لا يمكن أن تبقى ناقصة ، فيعبدن هكذا دوام الاحتفاظ بالنصف الآخر إلى النصف السابق

(٢) يقال إن هؤلاء كانوا قتيه من نصارى افيزوس Ephesus لجأوا إلى كهف هرباً من اضطهاد الأباطور دنيوس Decius فناموا هناك تحت حراسة كلهم مدة ٣٠٠ سنة شمسية أو ٣٠٩ قرية . (سورة الكهف) (٣) يحفظ في مسجد النوري بالقاهرة بقميص يقال إن النبي (ص) كان يلبسه . وقد صر هذا القميص في شال كشميري ولا يعرض لغير الظاه

الأجانب ملابس خاصة تبعاً لطوائفهم . وأهم ما يميزهم لباس الرأس ، وأكثر أنواعه شيوماً ما صنع من اللبد على شكل قالب السكر المخروطي . وتتكون ملابسهم الأخرى من صدرية وسروال واسع أو آخر ضيق ، أو قميص وحزام ، وعباءة غليظة . ويتظاهر الفرس هنا بأنهم سنيون . ويعتبر الأتراك أكثر الطائفتين إزعاجاً ولجاجة . وأذكر هنا خرافة أخرى هي اعتقاد المصريين والعرب عامة بأن للطيور والحيوانات لغة تفاهم بها وتسمح بحمد الله ومن أم الميزات في خرافات المصريين المحدثين اعتقادهم بالتمائم والأحجبة التي يستند أكثرها على السحر ، ويشتمل بكتابة هذه التمازيد أحياناً جميع مدرسي الكتاتيب القروية تقريباً . على أنه قلما يدرس من يقوم بهذا العمل شيئاً من السحر أكثر من الحصول على بعض صيغ من الأحجبة يتألف معظمها عادة من آيات قرآنية وأسماء الله مع أسماء الملائكة والجن والرسول ، أو الأولياء المشهورين يختلط بها تركيبات عديدة وأشكال هندسية ويتوهم الناس أن ذلك كله له خاصية خفية عظيمة

وأكثر الأحجبة اعتباراً مصاحف القرآن ، وقد جرت العادة أن يحمل أترك الطبقتين الوسطى والعلوية وغيرهم من المسلمين مصحفاً صغيراً في غلاف من الجلد المزركش أو الخمل يعلقونه على الجانب الأيمن بحيث يحرر يرفق الكتف الأيسر . غير أن هذه العادة لم تعد شائعة كثيراً . وقد لاحظت أثناء زيارتي الأولى أنه قلما يرى تركي فاضل من السلك الحربي لا يحمل الغلاف السابق ذكره ، مع أنه كثيراً ما لا يحوى حجاباً ؛ ولا يزال النساء يحملن المصحف وغيره من الأحجبة ، فيضعنها في أغلفة من الذهب أو من الفضة المذهبة أو الساذجة . ويمزج المسلمون إلى المصحف وأكثر الأحجبة قوة كبيرة ، ويعتبرونها حافظاً من المرض والسحر والحسد وغير ذلك من البلايا

وهناك كتاب أو درج يجيء بعد المصحف مكانة به سور قرآنية تكون في المادة سيماً كسور : الأنعام والكهف وس والسخان والرحمن والملك والنبأ وغيرها . ويوجد حجاب آخر يوضع عادة داخل غطاء الرأس ، ويعتقد أنه يقي حامله من الشيطان ومن كل جن شرير . وهذا الحجاب قطعة ورق كتبت عليها الآيات التالية<sup>(١)</sup> : « ولا يؤوده حفظهما وهو العلي

(١) وتسمى « آيات الحفظ »

ويجب عمل هذا على ما يقال قبيل الغروب عند ما يحمر قرص الشمس ويستعمل المصريون الشب كثيراً لمنع أثر الحسد ، فيضمون على الجمر قبيل الغروب قطعة منه بحجم الجوزة تقريباً حتى تنقطع عن الفوران ، ويتلو من يقوم بهذا العمل أثناء احتراق الشب الفاتحة والسور الثلاث الأخيرة ثلاث مرات . ويبدو كما قيل أن الشب عند ما ترفع من النار تتخذ شكل الحاسد ، ثم يسحقها ويمزجها بقليل من الطعام يرميه إلى كلب أسود لياً كله . وقد شاهدت هذه العملية يقوم بها رجل ظن أن امرأته نظرت إليه نظرة حاسدة . وقد أخذت قطعة الشب وتثذ شكلاً يشبه شكل النساء كثيراً فقرر الرجل أنه وضع خاص تعودت عليه امرأته . إلا أن الشكل الذي يتشكل به الشب يكاد يتوقف على ترتيب الجمر ومن الصعب أن يكون هذا الشكل بحيث لا يرى فيه الخيال بعض الشبه بالإنسان - وهناك طريقة أخرى يتوهم الناس أنها تدفع تأثير الحسد وهي أن تؤخذ قطعة من الورق بآرة وقول المواخر هذه عين فلان الحاسد . ويعتبر الشب حجاباً ناجماً ضد الحسد . وقد يعلق الناس أحياناً قطعة من حجر الشب مسطوحة ومزينة بشراريف في أعلى غطاء رأس الطفل . وتتمتع الأصداف والخرز بالطريقة نفسها ولتعرض نفسه . وهناك أصداف صغيرة تعتبر وافية من الحسد خاصة تعلق في عدد الجمل والحياد وغيرها من الحيوان وعلى غطاء رأس الأطفال أحياناً . ولا شك أن هذه الملققات يقصد بها جذب العين فتمنعها من رؤية الشيء المراد حفظه من الحسد

هذه ظاهرة نادرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١١ مارس سنة ١٩٤١ في القضية ١٧٢٩ سنة ١٩٤١ بتزيم محمد حسن الديب بكفر أيوب ١٠٠ قرش لامتناعه عن بيع قنق بالتسميرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٢ في القضية ١٩٨٤ سنة ١٩٤١ بجيبس خطاب غنيم حسن البقال بالزقازيق خمسة عشر روماً بشغل وغلقت المحل يوما لبيعه عدس بأزيد من التسميرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٢ في القضية ٢٠٠١ سنة ١٩٤١ بجيبس ابراهيم مصطفى محمد الجزائر بكفر عثمان أسبوعين بشغل وغلقت المحل يوما لبيعه لحم بأزيد من التسميرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٢ في القضية ٢٦ سنة ١٩٤٢ بتزيم عبده مصطفى السيد الجزائر بالأبراهيمية ٣٠٠ قرش وغلقت المحل يوما لبيعه لحم بأزيد من التسميرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٢ في القضية ٤٩١ سنة ١٩٤٢ بتزيم محمد أحمد صبري بالزقازيق ٣٠٠ قرش لبيعه ذرة بأزيد من التسميرة

ونعل وبردة<sup>(١)</sup> وثلاث حصر ودرع وورداء طويل من الصوف، وبفله الأبيض (اللؤلؤ) وناقته (العضباء) . وتكتب أيضاً بعض الآيات القرآنية على قصاصات من الورق يحملها الناس وقاية من الشرور ، واستشفاء أو اكتساباً للحب والصدقة الخ . ويحمل الكثير من المصريين المحدثين رجالاً ونساء وأطفالاً هذه الأحجية وغيرها في أغلفة من الذهب أو الفضة أو القصدير أو الجلد أو الحرير الخ . ومن الشائع أن ترى الأطفال المصريين يحملون أحجية ضد الحسد<sup>(٢)</sup> داخل غلاف مثلث الشكل يعلق في أعلى غطاء الرأس . وكثيراً ما يعلق على الجياد معلقات مماثلة . ويتقو المصريون الحسد بشتى الاحتياطات ويسمون قلقين لنفع نتائجهم الرومية عنهم . وقد يصر البعض عن إعجاب به شيء إعجاباً يعتبر غير لائق فيمنعه من أزعجه هذا بقوله : ( صل على النبي ) فإذا امتثل الحاسد وقال : « اللهم صل عليه » لا يخشى شره . ومن غير اللائق أيضاً أن يصر الشخص عن إعجابه بآخر أو بأى شيء لا يملكه بقوله : « يا سلام<sup>(٣)</sup> » « ما أجمله » ويستحسن في مثل هذه الأحوال أن يقول : « ما شاء الله » التي تشير إلى الإعجاب والخضوع لإرادة الله أو الرضا بها . فكثيراً ما يكون الأجدد بالميدى إعجاباً أن يقول ما شاء الله ويصلي على الرسول . وقد بينت في الفصل الثاني من هذا الكتاب خوف نساء مصر من أثر الحسد على أولادهن . والمادة في هذا البلد أن يقول من يحمل ولد غيره بين ذراعيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صل على سيدنا محمد ، ثم يقول ما شاء الله . والشائع أيضاً أن يقول للمصرى عند ما يمدى إعجاب بصبي : « أعوذ رب الفلق لأجلك » مشيراً إلى سورة الفلق التي تنتهي بالتموذ من شر الحسد . وقد ينظر بعض الناس إلى طفل أو يروح أنه يحمسه فيعمد الوالدان أحياناً إلى قطعة من أطراف ملابسه فيحرقانها مع قليل من الملح . ويضيف البعض إلى ذلك الكزبرة وحجر الشب الخ ويختران الطفل بالدخان وينذران عليه الرماد ،

(١) البردة التي يلبسها فلاحو مصر قطعة مستطيلة من الصوف السيك تشبه الحرام فيما عدا اللون ، إذ تكون على العموم سمراء أو قهواء . ويبدو أنها كانت في الأزمنة الأولى مخططة دائماً . إلا أن بعض البرد الحديثة ساذجة والبعض الآخر ذات خطوط متقاربة جداً بحيث تبدو لناظر القريب أنها ذات لون واحد . وتوصف بردة التي ( مسلم ) أنها كانت حوالى سبعة أقدام ونصف طولاً ، وأربعة ونصف عرضاً . وكان يستعملها كما تستعمل الآن للبسها نهاراً والتنظية ليلاً

(٢) تبين هذه الحرافة عادات كثيرة كانت تبدو خلافاً لذلك ظلمة .

(٣) أو « يا سلام سلم » ، ولنظرة السلام من أسماء الله